

## آلام الصليب ومجده

### الذين كانوا عند الصليب

لله الشكر

متى ٢٧؛ مرقس ١٥؛ لوقا ٢٣؛ يوحنا ١٩

«وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ، أُمُّهُ، وَأَخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كَلُوبَا، وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ» (يوحنا ١٩: ٢٥).

بقلم: هيغو مكورد

تذكر بعض التفاسير الحديثة التي تقول أنه كان ليهوذا هدف سامي! يقال: «فعل يهوذا ما فعله لأنه كان يفكر بغاية سامية. ولكن ذلك ليس صحيحاً! اختار يسوع يهوذا فاختار يهوذا يسوع، ومن ثم اختار يهوذا أن يخون يسوع.

سمح يسوع ليهوذا بأن يتقدم إليه ويقبِّله (لوقا ٢٢: ٤٧ و ٤٨). وكان يسوع يعبر بعدة طرق أثناء القبض عليه انه «لا تفعل هذا - اجري يا يهوذا، اجري!».

الخلاصة الوحيدة التي يمكن أن نتوصل إليها هنا هي أن يهوذا كان منافق ناجح. كان الرسل الأحد عشر الآخرون يمكن أن يوقفوه لو كانوا قد عرفوا ما هو مزعم أن يفعل. لم يعرفوا من خلال مظهره ما كان يخبئه في قلبه. لم يكن له قرنين ولا مدراة. عرف يسوع أن يهوذا سمح للشيطان أن يدخل في قلبه واسماه بـ«ابن الهلاك» (يوحنا ١٧: ١٢). يقول إنجيل يوحنا ١٢: ٤-٦ أن يهوذا أمين الصندوق الموثوق به هذا كان لصاً وكان يختلس من صندوق المال.

«دخل» الشيطان في قلب يهوذا (لوقا ٢٢: ٣؛ يوحنا ١٣: ٢٧). الإنسان الذي خلقه الله لنفسه قد استخدمه الشيطان إذا سمح له بذلك. قال يسوع

تفحص الكتاب المقدس بخشوع وأمانة. حاول أن توصل بين النقاط لترى الصورة الكاملة التي يقدمها لكل حدث ديني. أجتهد، وظهر قلبك من كل تحيز! دع الله يخبرك بما تؤمن به. لا تحاول أن تجعل الكتاب المقدس يقول ما لا يقوله.

إدانتنا لشخصيات الكتاب المقدس هي إدانتنا لأنفسنا. نرى أنفسنا في واحد منهم. سنجد أن دروس قيمة أتت من الذين كانوا عند الصليب؛ كما تأتي دروس قيمة أيضاً من الذين لم يكونوا عند الصليب. كن يقظاً. السؤال الذي يكون بلا إجابة ليس خطيراً بقدر خطورة أجوبة لأسئلة لا يطرحها الله.

#### الذين كانوا غائباً

يهوذا: لم يكن يهوذا حاضراً عند الصلب. قصته هي أسوأ قصة لإنسان عرفه التاريخ! لا يفكر الله بنفس الطريقة التي يفكر فيها الإنسان، ولا يتصرف مثله. لم يوضح أحد هذا بقدر ما أوضحه يهوذا. تقشعر أجسامنا عند سماع اسمه.

يقول البعض أن الله رفض يهوذا ولهذا السبب قام بخيانة يسوع. ولكن هذا يشوه سمعة الله، لأن الله لا يستخدم الناس بطريقة غير صحيحة ولا يسيء إليهم.

ليهوذا عندما تحرك ليقوم بعمله الفظيع: «مَا أَنْتَ تَعْمَلُهُ فَأَعْمَلُهُ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ» (يوحنا ١٣: ٢٦-٣٠). انه كتلميذ لم يكن مُخلصاً لمعلمه. فقد خان يسوع من أجل نقود قليلة.

لم يكن الكثير من الناس مباركين مثلما كان يهوذا. كان مع المسيح لمدة ثلاث سنوات، وكان يتمتع بصلاحيات خاصة، ومع ذلك اخفق في الاستفادة منها. لم يتعلم ولم يعترف بالخطأ ولم يتب. كان يهوذا عديم الحس إذ لم يقبل نعمة يسوع. تأسف يهوذا بسبب الكبرياء، ولم يكن ذلك توبة بالنعمة.

لم يتم تحذير شخص ما مثلما حُذر يهوذا. قال يسوع قبل شهر من خيانة يهوذا له: «أَلَيْسَ أَنِّي أَنَا أَخْتَرْتُكُمْ، الْإِثْنِي عَشْرَ؟ وَوَاحِدٌ مِنْكُمْ شَيْطَانٌ!» (يوحنا ٦: ٧٠). ظن يهوذا بانه ربما سيغفر له، ولكن لم تكن هناك طريقة لإستعادته لأن يكون كواحد من الرسل. ربما قال في نفسه: «لن يغفر لي إخوتي ويقبلونني بعد كل هذا». خاف يهوذا من الحياة أكثر مما خاف من الموت. انتحر، وهذا حل دائم لمشكلة مؤقتة. إذا لم يكن يسوع قد خلص جميع المقربين إليه، فلا نستطيع أيضاً نخلص جميع المقربين إلينا!

**الرسل الآخرون:** لم يُشاهد أحد عشر رسولاً من الرسل الاثني عشر عند الصليب. قتل يهوذا نفسه فلم يستطع الحضور هناك. يوحنا وحده هو الذي قطع المسافة كلها ... ومع ذلك ليس هناك ما يدل إلى انه قال شيئاً عند الصليب. يستحق يسوع ما هو أفضل. هل كنا سنفعل ما هو أفضل؟

مع أن الرسل لم يأتوا إلى الصليب، إلا أن يسوع سامحهم واستخدمهم. وهذا يعطينا الرجاء! هرب الرسل عند القبض على يسوع (متى ٢٦: ٥٦؛ مرقس ١٤: ٥٠؛ أنظر زكريا ١٣: ٧). الإيمان يصدق بان الله يعرف ما يعمل! هل كان الصليب أكثر مما يستطيع الرسل تحمّله؟ هل سحقتهم الآلام والمعاناة؟ لا يضع الكتاب المقدس التوكيد على الآلام التي تحملها يسوع، بل يضع التشديد على دمه الثمين وموته من أجل خلاصنا والقيامة.

**مريم ومرثا ولعازر:** لم يرد ذكر وجود هؤلاء الثلاثة عند الصليب ولا عند القبر ولا في الغرفة العليا (أنظر على سبيل المثال متى ٢٧: ٥٥ و٥٦ و٦١؛ مرقس ١٥: ٤٠ و٤٧؛ لوقا ٢٣: ٤٩ و٥٥؛ ٢٤: ١٠؛ يوحنا ١٩: ٢٥؛ أعمال ١: ١٣ و١٤). لم يرد ذكرهم في كتاب أعمال الرسل ولا في الرسائل. هؤلاء هم الذين قضى يسوع معهم أيامه الأخيرة. لقد أحبهم (يوحنا ١١: ٥).

في كثير من الأحيان يكون لك أقل تأثير على أحبائك وعلى الذين تبذل من أجلهم أكبر جهد. هل لحق هؤلاء الثلاثة أذى أكثر مما ينبغي (يوحنا ١١: ١-٤٤)؟ ورد في ما سبق أن قيامة لعازر من الموت أدت إلى صلب يسوع. هل ظنوا أن حياتهم ستكون في خطر؟ إذا وقفوا تحت الصليب؟ هل بقاءهم مع يسوع كان خطراً عليهم؟

**الآخرون:** هل كان إخوة يسوع بحسب الجسد هناك؟ كانوا في العلية كما ورد في الأصحاح الأول من كتاب أعمال الرسل ولكنهم لم يكونوا بجانب أهم عند الصليب. وقف يوحنا هناك ولكنهم لم يكونوا هناك (يوحنا ١٩: ٢٥-٢٧).

هل كان باراباس هناك؟ قد نسميه إرهابي (مرقس ١٥: ٧؛ لوقا ٢٣: ١٨ و١٩). اصطدم ببيلاطس عندما اختار اليهود أن يُطلق لهم باراباس بدلا من يسوع (متى ٢٧: ١٥-٢٣؛ مرقس ١٥: ٦-١٤؛ لوقا ٢٣: ١٧-٢٣).

برأيك ماذا كان على باراباس أن يفعل؟ ماذا عن الكثيرين الذين شفاهم يسوع؟ هل كانوا هناك؟ هل كان وجودهم هناك يمكن أن يكون محرراً جداً أو مخجلاً؟

### بعض من الذين كانوا هناك

**سمعان القيرواني:** كان سمعان الذي من القيروان هناك عندما وقع يسوع تحت الصليب، ولم يستطع الاستمرار بحمله، لهذا تم مقاطعة ذلك الموكب

الرسائل هي الأسفار الواحد والعشرون في كتاب العهد الجديد غير الأناجيل الأربعة والتي كتبت للمسيحيين. تحتوي الرسائل على تعليم قيّم عن الحياة المسيحية.

إلى الجلجثة (متى ٢٧: ٣٢؛ مرقس ١٥: ٢١؛ لوقا ٢٣: ٢٦).

نحاول عادة تجنب المقاطعة. قد يكون بعضها مؤلمة. نفكر عادة: «تعود الحياة إلى مجراها بعد هذه المقاطعة». كلا، كلا! فان الحياة ليست إلا مقاطعات. تخبرنا الأناجيل بكثير من المقاطعات في حياة المسيح. وفي هذه المناسبة تم مقاطعة حياة سمعان القيرواني أيضاً.

قيل لسمعان أن يحمل صليب المسيح. هذا تدبير إلهي! لقد قطع هذا الرجل مئات الأميال في رحلة دينية، رحلة العمر. لم يكن عادياً أن يحمل شخص ما صليب سجين ما.

أدخل مرقس هنا مذكرة بين قوسين، إذ قال بان سمعان هذا كان «أَبُو أَلْكَسَنْدَرُسَ وَرُوفُسَ» (مرقس ١٥: ٢١). ربما كان هو أبو روفس الذي ذكره بولس في الرسالة إلى أهل رومية ١٦: ١٣، ولكننا لا نعرف هذا يقيناً.

لم يدري سمعان انه سيكون معروفاً الى يومنا هذا بعد حوالي ألفين سنة. مهما كانت أفكاره ودوافعه، سيبقى اسمه في الكتاب المقدس وفي التاريخ إلى نهاية الدهر. يجب أن نشكر سمعان من أجل انه حمل صليب يسوع عندما لم يستطع الأخير التحمل. كان الجزء الذي حمله سمعان من الصليب هو العمود المستعرض (العارضة). شكراً جزيلاً يا سمعان، يبارك الله دائماً الذين يساعدون ابنه.

**النساء:** بكت النساء المتعاطفات والمنسحقات القلوب على يسوع عندما كان في طريقه إلى الجلجثة. (لوقا ٢٣: ٢٧-٣١). كشف لهن يسوع عن شيء مخيف، وهو انهن سيبكين على أنفسهن بعد زمان قصير. لقد صلبت أورشليم يسوع، ولكن الله كان سيسمح بخراب أورشليم من قبل المحتلين الرومان (٦٧-٧٠م).

كانت النساء حاضرات هناك. لم يهربن، بل تعاطفن. كن يراقبن بأحاسيس وعواطف جياشة. وفي ما بعد كان للنساء دوراً في دفن يسوع وحراسة قبره (متى ٢٧: ٥٥-٦١؛ مرقس ١٥: ٤٠-٤٧؛ لوقا ٢٣: ٤٩-٥٦).

ليبارك الله النساء الصالحات اللواتي أحبين يسوع! وقفت مريم أم يسوع حزينة بجانب الصليب. لا

نستغرب انها كانت هناك. ستكون أمك من بين الناس الذين سيكونون معك بغض النظر إن كان قد حدث لك! سينرك الأصدقاء مثل بطرس ويهريون، اما الأمهات الصالحات يكن هناك دائماً! لم يتخلص يسوع من صليبه. ولم تتخلي مريم عن ابنها. لم تفهم ما كان يفعله {ابنها} فهما كاملاً، ومع ذلك كانت موجودة عند الصليب.

تمنت كل من الفتيات اليهوديات أن يكن أم المسيا. لا شك أن مريم غمرها الفرح عندما اختارها الله لتحمل ابنه (لوقا ١: ٢٦-٣٨). لا شك أن التحدي خوفها أيضاً. كان ذلك هو ابن الله الوحيد! كيف كانت تربيته؟ لقد دفعت مريم ثمناً كبيراً لكونها أم يسوع. كان سمعان النبي قد قال لمريم: وَأَنْتِ أَيْضاً يَجُوزُ فِي نَفْسِكَ سَيْفٌ، لَتُعَلَّنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ» (لوقا ٢: ٣٥). الأم وحدها هي التي قد تستطيع أن تتصور كيف شعرت مريم. لقد دفعت مريم الثمن بفرح لتكون أم يسوع. تكلفنا التلمذة ثمناً أيضاً. ينبغي أن نكون نحن أيضاً مستعدين لدفع الثمن.

هل فكرت أبداً كيف يكون السكن مع يسوع في بيت واحد؟ قد يكون فهم ألوهيته أسهل من فهم إنسانيته. قد نقول من وجهة النظر البشري أن يسوع كان تلميذ ممتاز ونجم رياضي وشاب له مستقبل مرموق. لا شك أن مريم كانت تفكر في نفسها قائلة: «ما نوع الشخصية التي سيكون لعلها ابني؟» (أنظر لوقا ١: ٦٦). يا لما اختبرته عند تربيته!

ما هو الدرس من هذا؟ لا تكون للأسرة التي بحسب الجسد قيمة في الأمور الروحية. الله لا يفضل أحداً على أحدٍ (أعمال ١٠: ٣٤). لم تُعامل أسرة يسوع معاملة خاصة. كانت على مريم وإخوة يسوع وأخواته أن يطيعوا الإنجيل كما فعل الآخرون! كان عليهم أن يتبعوا المسيح كما يفعل الجميع، وقد فعلوا كذلك. كانوا حضوراً عند الصلاة قبل الكرازة بأول موعظة كاملة للإنجيل (أعمال ١: ١٣ و ١٤). كان يوسف أبو يسوع الذي تبناه مخلصاً في جميع ما كان مطلوب منه أن يعمل. كانت مريم مخلصاً لابنها، وفي ما بعد أصبحت مخلصاً لكنيسته أيضاً.

مريم في يومنا هذا إما مستبعدة عن القلوب أو

ربما اعتمد أو لم يعتمد! تشير الظروف إلى أنه ربما كان قد اعتمد. لقد اعتمدت «كل اليهودية» بمعمودية يوحنا المعمدان (متى ٣: ٤-٦؛ مرقس ١: ٤ و ٥). لم يقبل القادة الدينيون يوحنا المعمدان ولا معمديته (لوقا ٧: ٢٩ و ٣٠). قبل العشرون والزواني معمودية يوحنا. وفي ما بعد عمد يسوع وتلاميذه عدد أكبر مما عمد يوحنا (يوحنا ٤: ١ و ٢). أرجو ألا تخاطر بنفسك بسبب اللص الذي ربما لم يكن قد اعتمد. لا تصنع قرار أبدي من اعتقاد لا يمكن إثباته بالوحي.

مات ذلك اللص تحت ناموس موسى، ولكننا نعيش الآن تحت ناموس المسيح (غلاطية ٦: ٢). عندما مات ذلك اللص، لم يكن يسوع قد قام بعد من الأموات؛ ولم يكن قد أعطى المأمورية الكبرى (متى ٢٨: ١٨-٢٠؛ مرقس ١٦: ١٥ و ١٦). ولم يكن الروح القدس قد حل بعد؛ ولم يوصى الناس بأن يعتمدوا ليصبحوا مسيحيين. ولم تكن الكنيسة قد أسست بعد. (حدث ذلك في يوم الخمسين. راجع الأصحاح ٢ من كتاب أعمال الرسل). لا ينال أحداً الخلاص في يومنا هذا بالطريقة التي نالها ذلك اللص!

لقد كان قرار اللص حكيماً تحت الإنزال والألم المبرح. وبخ اللص الآخر بسبب تجديفه واعترف بإثمهما ودافع عن يسوع واستخدم «لغة الملكوت». لقد لمح إلى القيامة إلى حد ما. كان ذلك اللص ويسوع يموتان. لم يكن هناك ما يدعو إلى أي رجاء في المستقبل غير معجزة عظيمة أو قيامة. لم يحاول التأثير في يسوع بأساليب غير قويمة كما فعل اللص الآخر. في ضعفه ألقى بنفسه «تحت المحكمة». هذا لا يفرض «خلاص على فراش الموت». اعترف هذا اللص بأنه يؤمن بيسوع، فمضى إلى السماء ذاك الذي كان يستحق جهنم. قال الصليب للصلب ما يقوله لنا: «ليست الحياة عبث... وليس الإخفاق مميتاً... وكذلك الموت ليس هو النهاية!»

**الجموع:** كان المتفرجون يمرون من هناك ويهزأون بالمصلوبين (متى ٢٦: ٦٥-٦٨؛ ٢٧: ٤٧-٤٩؛ مرقس ١٤: ٦٥؛ ١٥: ٢٩-٣٦). لقد أظهرت الصُّلبان الوحشية في الإنسان. كان ذلك تسلية بالنسبة للمتفرجين - لعبة خبيثة مميتة. كانوا يشجعون الاختبارات: «أنزل...»؛ «أبقى في مكانك...»؛ «اعطيه

معبودة فيها. وهاتين النظريتين غير صحيحتين. لم يكن لمريم مقام إلهي، ولكنها نالت بركة عظيمة (راجع لوقا ١١: ٢٧ و ٢٨): أصبح ابنها مخلصها! (راجع أعمال ١: ١٤). لم يرد ذكر مريم في الأسفار المقدسة بعد سفر أعمال الرسل.

كانت عند الصليب أيضاً نساء أخريات كن يحببن يسوع. كانت مريم المجدلية من بينهن. بعد ما قام يسوع من الأموات ظهر أولاً لمريم المجدلية التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين (مرقس ١٦: ٩؛ لوقا ٨: ٢). هناك أيضاً مريم ثالثة، وهي أم يعقوب ويوسي (مرقس ١٥: ٤٠). ومنهن أيضاً سالومة أم يعقوب ويوحنا، كما كانت هناك أيضاً يُونَّا (لوقا ٢٤: ١٠). النساء اللواتي من الجليل (متى ٢٧: ٥٥؛ مرقس ١٥: ٤٠ و ٤١؛ لوقا ٢٣: ٤٩ و ٥٥) كن هناك بقرب الصليب. كانت النساء أول الناس عند الصليب وأول الناس عند القبر. المجد لله من أجل النساء الصالحات!

**الصلب الذي كان على الصليب:** اقرأ إنجيل لوقا ٢٣: ٢٩-٤٣. يفتننا اللص الذي كان على الصليب. ليس هناك ما يكشف عن طريقة تفكيرنا مثلما كشف عنها هذا الإله. هل نحن مستعدين لأن نفكر بتعقل وإخلاص؟ وجد اللص الخلاص. مات يسوع مع الخطاة لأجل الخطاة. بينما كان يسوع على الأرض له سلطان ليغفر الخطيئة (متى ٩: ٤-٦؛ مرقس ٢: ٨-١١؛ لوقا ٥: ٢٢-٢٤). كان على وشك الموت، ولكنه لم يمت بعد - فأعطى خلاص لهذا الإنسان.

يضج البعض قائلين: «كان ذلك اللص رديء جداً وسقط إلى أبعد حد {وطلب الرحمة} بعد ما فات عليه الأوان وضل إلى أبعد حد». لا يمكننا أن نوصي الله كيف يوزع رحمته! ولا يمكننا أن نوصي يسوع من يجب أن يخلصه! لماذا يريدون أن يبقى أي خاطيء ضالاً؟ تأمل في ما يلي: كان أعظم يوم في حياة ذلك اللص هو يوم صلبه!

قد تقول: «ولكنه لم يفعل شيئاً!». أوه، لقد فعل شيئاً! انتهز تلك الفرصة. لقد فعل ما باستطاعته - اعترف بيسوع رباً، ووبخ اللص الآخر غير التائب. كان هو الشخص الوحيد الذي دافع عن المسيح المصلوب. قد تقول أيضاً: «انه نال الخلاص من غير معمودية».

٢٧: ٥٤؛ أنظر مرقس ١٥: ٣٩؛ لوقا ٢٣: ٤٧).  
**يوسف الذي من الرامة و نيقوديموس:** طلب  
يوسف الذي من الرامة ونيقوديموس جسد يسوع بجراءة  
(متى ٢٧: ٥٧-٦١؛ مرقس ١٥: ٤٢-٤٧؛ لوقا ٢٣: ٥٠-  
٥٦؛ يوحنا ١٩: ٣٨-٤٢). نشكرهما جزيل الشكر من  
أجل دفن يسوع.

يفكر الكثير من الناس مثلما فكر هذين الرجلين. يريد  
الكثير من الناس أن يضعوا الله في دور إستشاري فقط.  
رجلان كان بإمكانهما أن يعملوا الكثير، ولكنهما لم يعملوا  
إلا القليل! طلبا فقط جسد إنسان كانا يؤمنان به في الخفاء  
عندما كان حياً. يطلب منا يسوع حياتنا، ولكننا أحياناً لا  
نرغب إلا بتقديم العطر له! لم نُخبر ماذا أصبح يوسف  
الذي من الرامة ونيقوديموس. يحتاج العمل الذي قاما به  
إلى شيء من الشجاعة، ولكن الاعتراف بيسوع والسماح له  
بان يكون ما هو، أي الرب، يتطلب شجاعة حقيقية.  
يفعل البعض أكثر من أجل دعوى خاسرة مما  
يفعلون من أجل رجاء حي. دفن الموتى أيسر من طاعة  
الرب الحي.

**الصليب ... ليس هناك طريق آخر سواه!**

خل بخس ...»؛ «ربما سيأتي إليّ!» يا لهذه المسرحية!  
العالم مليء بالمتظاهرين في يومنا هذا. أين كان  
المتظاهرون عندما كانت هناك حاجة إليهم؟ صاح  
**الجمع:** «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلَادِنَا» (متى ٢٧: ٢٥).  
ياللعواقب الوخيمة التي شاء وأن يقبلوها من أجل إدانة يسوع!  
**الأعداء:** قالوا بكبرياء: «لقد تولينا أمر هذا!» ولكن  
جاء الاحد. لقد نصبوا لأنفسهم الشرك. اجتاحت المسيحية  
العالم بعد القيامة. وانتهى الدين اليهودي بحسب الكتاب  
المقدس، وتم خراب أورشليم في سنة ٧٠م. ماهي الفكرة  
المراد توضيحها؟ الفكرة المراد توضيحها ببساطة هي: لا  
يمكن لأحد أن يشن حرباً ضد الله وينتصر.

**العسكر الرومان:** ألبس العسكر يسوع ثياب الملوك  
ثم أقاموا حفلة استهزاء (متى ٢٠: ١٧-١٩؛ ٢٧: ٢٧-٢١؛  
مرقس ١٠: ٣٢-٣٤؛ ١٥: ١٦-٢٠؛ لوقا ١٨: ٣١-٣٤؛  
٢٣: ١١؛ يوحنا ١٩: ١-٥). كان يسوع قد ضُربَ ضرباً  
مبرحاً. وقامروا من أجل ثيابه (متى ٢٧: ٢٥؛ مرقس  
١٥: ٢٤؛ يوحنا ١٩: ٢٣ و ٢٤). لقد زادت الحالة سوءاً.  
ولكن كان هناك قائد مئة روماني آخر يراقب الوضع  
بدقة. ورأى أن يسوع كان مختلفاً، فاستخلص كما ينبغي  
أن نستخلص جميعاً انه: «حَقًّا كَانَ هَذَا ابْنُ اللَّهِ!» (متى

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩